المشيئَتان والفِعلان في شخص ربِّنا يسوع المسيح

بقلم المعلم الأنطاكي الشماس اسبيرو جبور

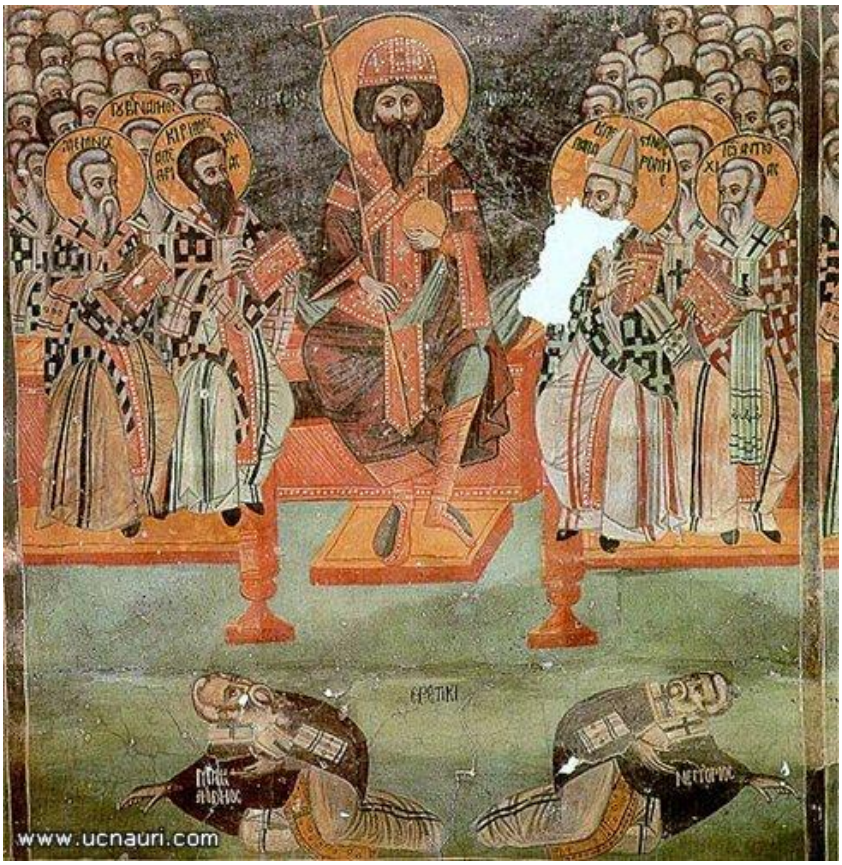

الآباء قالوا إِن لكلِّ طبيعةٍ فعلاً وليسوع طبيعتان تامَّتان، الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية. هما متَّحِدَتان في شخصِه الالهي الى أبدِ الآبدين ودهر الداهرين بدون إنقسام وبدون إنفساخ. ولذلك لما ظهرت الهرطقة في

القرن الثالث تقول أن اللاهوت إنفصل عن الناسوت على الصليب، رفضَتها الكنيسة لأنه لو تمّ الإنفصال لما تمّ الخلاص.

فالخلاص تمّ على أساس أن الجسد المصلوب هو جسد إبن الله وإلا لوقعَ الصلبُ على شخصٍ عاديٍّ لا على طبيعةٍ بشرية متّحدَة باللاهوت. ولما ظهرت بدعة ابوليناريوس اللاذقي قاومَها آباء الكنيسة. هذا كان ذا عقلٍ جبّار، حاولَ أن يشرح سرَّ التدبير الالهي فسقط في الهرطقة وقال إن ليسوع أقنوم واحد وشخص واحد وطبيعة واحدة وفِعل واحد ومشيئة واحدة، فهو موحِّد من الألف الى الياء.

قام فوراً آباء الكنيسة لتفسير قولِه فدانَه مجمع الإسكندرية في العام 362 برئاسة القديس أتناثيوس الرسولي ودانَه غريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصصي، فكتب غريغوريوس اللاهوتي رسالَته المشهورة الى الكاهن كلودونيوس واستفاضَ فيها بالبيان أن يسوع المسيح ذو فِعلَين. تناول الموضوع بعده ثيودوريتُس أُسقف قورش في رسالته الرابعة الى الرهبان ووسّع موضوع هذه الرسالة بصورةٍ جيدة حتى صار عندنا نصَّان مهمّان جداً يعالجان الموضوع مطوّلاً.

آباء الكنيسة المستقيمو الرأي طرقوا الموضوع. جمعَ القديس مكسيموس المعترف الكمية الواسعة من النصوص. حملَ هذه النصوص وفدٌ رومانيٌ الى المجمع السادس المسكوني وكلٌ هذه النصوص هي منشورة في المجلّد الحادي عشر من مجموعة المجامع للأب Mansi وفي غيرها من الموسوعات.

إنتزع منصب البطريركية في القسطنطينية شخصٌ إسمه سرجيوس من قرية سِرمين الواقعة بالقرب من إدلب. صار أرثوذكسياً وإنتزع المنصب لأن القسطنطينية كانت تلجأ الى الكرسي الأنطاكي لإختيار بطاركتها.

في المرجع الثاني المسكوني من العام 381 خلفَ نكتاريوس الأنطاكي القديس غريغوريوس اللاهوتي وتلاه يوحنا فم الذهب الأنطاكي ومن ثم جاء ارساكيوس أخو نكتاريوس. فاذن هناك ثلاثة بطاركة أنطاكيّين متتالين على القسطنطينية. ونذكر ايضاً نستوريوس الأنطاكي الذي إحتلّ بطريركية القسطنطينية في العام 428 .

في العام 434 إعتلى كرسي القسطنطينية أيضاً القديس Proclus تلميذ يوحنا فم الذهب. تقول المراجع أنه على الأغلب هو من

القسطنطينية ولكن هناك مراجع تقول هو من مرعش شمال سوريا من بلد كان اسمها جرمانيكا.

تلا Proclus أنطاكيٌّ آخرُ إسمه فلافيانوس (Flavien) إحتلّ كرسي القسطنطينية في العام 444.

فاذن، في الفترة الممتدّة من العام 381 والى العام 444 تلا كرسي القسطنطينية ستّة بطاركة أنطاكيون.

تبنَّى الأمبراطور هيرقل (Heraclus) صيغة الفعل الواحد وصيغة المشيئة الواحدة لمصالحة الأرثوذكس والمونوفيسيتيِّين (Monophysites) وشنّ هجوماً على الفُرس واحتلّ عاصمتَهم الشرقية وأعادَهم الى حدودِهم الطبيعية بعد أن كانوا قد حاصروا القسطنطينية ثلاث مرات في العام 608، 616 و 626. إستعاد منهم عود الصليب وأتى بلادَنا ليعرُض صيغة الفعل الواحد والمشيئة الواحدة. إستقرّ في حمص فرفضه الحمصيُّون وأصرّوا على الأرثوذكسية وأصرّ الكرسي الأنطاكي الأرثوذكسي على الأرثوذكسية بإستثناء فئات محدودة من الأرثوذكس. إندلعت المعركة بين هيرقل والأرثوذكس فواجَهَهُ الأَنطاكيون بالمقاومة. من أبرز المواجهين له هو كان صوفرونيوس

الدمشقي (Sophrone) الذي صار في العام 634 بطريركاً على أورشليم فثبّت الأرثوذكسية نهائياً في فلسطين.

ونذكر ايضاً من المواجهين، منصوراً جدّ يوحنا الدمشقي ومكسيموس المعترف الجولاني الذي كان في العام 632 راهباً في قرطاج في تونس. قفز مكسيموس من شمال افريقيا الى رومية مدعوماً بالبابا مارتينوس، فأنشأَ كتابات عديدة يسرِد فيها أن ليسوع طبيعتَين وفعلَين ومشيئتَين وهذا ما قرّره المجمع السادس المسكوني في العام 681.

فإذن، الكرسي الأنطاكي هو كرسي اللاهوت الأرثوذكسي وهو الذي صاغَ الصياغة النهائية للاهوت الأرثوذكسي مع صوفرونيوس ومكسيموس ويوحنا الدمشقي وسواهم. بموجب هذا التعليم العظيم نقول إن أقنوم يسوع واحد.

أقنوم وشخص مترادفان. نستطيع أن نستعمل إحدى اللفظتَين. في أقنوم يسوع، الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية متّحدتان وكلٌ من الطبيعتَين تام. الطبيعة الالهية هي تامّة والطبيعة البشرية هي تامّة. فيسوع حسب النص الآية 15 في الفصل الرابع من الرسالة الى

العبرانيّين وسواها في العبرانِيّين وفي رومية "صار شبيهاً لنا في كلِّ شيءٍ ما عدا الخطيئة".

أخذ يسوع طبيعةً بشرية تامة ولكنها خالية من الخطيئة. القدّيسان غريغوريوس اللاهوتي وكيريلُّوس الإسكندري قالا " إن ما لم يأخذه الربُّ يسوع لم يخلُص لم يَشفى" أي أن يسوع أخذ طبيعة بشرية كاملة وإرادة بشرية تامة وفعل بشري تام وإلا لما تمّ الخلاص. أخذَ طبيعتَنا الساقطة ما عدا الخطيئة.

كانت قد نشأت في مصر بدعة تقول إن طبيعة يسوع البشرية غير قابلة للفساد، فإنشقّت الكنيسة القبطية. صاحب هذا القول يُدعى جوليانوس. إندسّ أسقفاً فلسطينياً على الأمبراطور جوستينيانوس الكبير فكاد أن يقع هذا الأخير في الهرطقة. عندئذٍ إتجهت أنظار العالم المسيحي الأرثوذكسي في الشرق وفي فرنسا الى بطريركنا القديس انستاثيوس (Anasthase) .

دعا انستاثيوس المجمع الأنطاكي الى الإنعقاد فكان العدد 153 أي كان لدينا في ذلك الحين البطريرك وعدد كبير من المطارنة والأساقفة. قرّر المجمع مواجهة الملك لوسينيانوس الكبير بالاستقالة

الجماعية إحتجاجاً عليه. لكن الله أخذه قبل وقوعه في هذه الهرطقة فإنتصر الرأي الأرثوذكسي بالمجمع الأنطاكي.

المؤرِّخ الكنَسي Ernest Stein يعتمد على هذا المجمع وعلى لائحة أساقفة الكرسي الأنطاكي التي نظّمها هذا البطريرك العظيم في العام 570 ليقرِّر أن الأرثوذكس كانوا آنذاك الأكثرية في الكرسي الأنطاكي، وهكذا إنتصرت الأرثوذكسية.

فإذن، يسوع المسيح أخذ طبيعةً تامةً هي طبيعتُنا الساقطة لا طبيعة آدم في الفردوس ولكن بدون الخطيئة، بدون الميل الى الخطيئة. أخذَ إرادتَنا فشفى إرادتَنا، أخذَ نفَسَنا فشفى نفَسَنا، أخذَ جسدَنا فشفى جسدَنا. هذا هو اللاهوت الأرثوذكسي المنتصر في العام 565كما شرحته في الصفحة 154 من كتابي "سر التدبير الالهي".

في يسوع طبيعتان تامّتان: الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية.

والطبيعة البشرية لا تكون تامةً إن كانت بدون فعلٍ وبدون إرادة، فماذا يُميِّز الانسان عن الحيوان؟ العقل والإرادة والحرية. إن أخذ يسوع طبيعةً بلا فعل وبلا مشيئة أي إرادةً، فهو يكون قد أخذ شيئاً نظَرياً وتكون الطبيعة البشرية في أقنوم يسوع طبيعةً نظرية بدون فعلٍ،

بدون إرادة، بدون حركة وبدون نشاط. فكيف يمكن أن نتصوّر طبيعةً مماثلة؟ طبيعةٌ بلا هذه الخواصّ تكون طبيعةً ظاهريّة أي على رأي لقائلين بأن التجسُّد كان ظاهرياً.

طبعاً تحتاج الأمور الى تفكيرٍ عميق للخلاص من الظاهريّة. إن كانت طبيعة المسيح البشرية بدون الخواصّ المذكورة فماذا تكون نوعُ هذه الطبيعة؟ إن كان ليسوع إرادة الهية فقط وفعلٍ الهيٍّ فقط، كانت الطبيعة البشرية فيهِ خيالاً لا واقعاً. وهذا يُمهِّد السبيل الى عقيدة القضاء والقدَر.

ولذلك إنتصرت الكنيسة في المجمع السادس المسكوني إنتصاراً باهراً.

ولكن ماذا كانت النتائج؟

كانت المسيحية في ذلك الحين قد تغلغلت جيداً في مشرِقنا وكان مشرقُنا راسخٌ في الخلقيدونية وفي الإيمان الأرثوذكسي. فلذلك لم تنجح هذه الهرطقة فيه. المجمع الرابع المسكوني هو مجمعٌ أنطاكيٌّ وكان داعمُهُ من وراء الستار هو ثيودوريتوس أسقف قورش كما إعترَف بذلك بابا رومية وكان خلقيدونياً.

قائد جيش الشرق القائد زانون (Zenon) أسقط بطريركَنا ونصّب

مكانه بطرس القصّار. أسقطَ الأرثوذكس هذا البطريرك ثلاث مرات ولكن الدعم كان يُعيدُه الى السُدَّة. نصَّب القصَّار فيلوكسينوس أسقفاً على منبِج فأتاهما دعمٌ كبير بشخص سميروس الأنطاكي. في العام 512 أسقط الأمبراطور Anasthase بطريركَنا ونصَّب مكانه سميروس الأنطاكي (Sévère) من العام 512 والى العام 518 .إستطاع سميروس وفلوكسينوس ان يسيطرا على الكرسي الإنطاكي ويُرهقا كاهلَنا.

لما حلّ يوستينوس (Justin) في السُدَّة الأمبراطورية في العام 518 وجدَت أنطاكية فارغة ليس فيها كاهنٌ ارثوذكسيٌ ليصير بطريركاً. أرهَقَنا الزمان حتى أنعم الله علينا ببطريركٍ متينٍ هو أفرام الآمِدي ثم بالقديس اتنستاسيوس المذكور سابقاً، فعاد الكرسي الأنطاكي الأرثوذكسي الى متانَته وجَبَروته سريعاً. فاذن، الكرسي الأنطاكي والكرسي الأورشليمي بفضل صوفرون الدمشقي البطريرك، كانا ركيزةً كبرى للإيمان لأرثوذكسي القائل بالطبيعتَين والفعلَين والمشيئتَين.

فما هي النتائج الروحية لهذه العقيدة؟ يوحنا السُلّمي وسواه قالوا إن

الروحانية قائمة على العقائد. روحانيّتُنا قائمة على عقائدِنا وكتابي "روحانية الكنيسة الأرثوذكسية" يوضِح ذلك.

فاذن، روحانيّتُنا تقوم على الإيمان بالطبيعتَين والمشيئتَين في ربِّنا يسوع المسيح. ولكن، ما آثار هذا الإيمان على حياتِنا الشخصية؟ الطبيعة الالهية غمرَت الطبيعة البشرية في يسوع بكل أنوار اللاهوت على قدَر ما تستطيع هذه الطبيعة البريئة التامة الكاملة إحتمالَه كطبيعة بشرية طبعاً. لا تستطيع أن تصير لاهوتاً لأنها طبيعة بشرية ولكن إمتلأت من أنوار اللاهوت بقدَر ما تستطيع كطبيعةٍ بشرية دون أن تستحيل وتصير طبيعةً الهية. هذا سرٌّ الهيٌّ عظيم نؤمِن به.

ولماذا تجسّد يسوع؟ لكي نتّحد بالله. ونحن بحسب كلام بولس الرسول أعضاء في جسد يسوع المسيح. بالمعمودية صِرنا أعضاءَ جسدِه وسَكَنَ فينا الروح القدس. ويقول بلاماس إننا صرنا مؤلّفين من ثلاثة عناصر: النعمة الالهية والروح البشرية والجسد البشري. فاذن، نحن صورة عن التجسُّد الالهي. الأنوار الالهية الساكنة في طبيعة يسوع البشرية سَكَنَت فينا. في الفصل الرابع من الرسالة الثانية الى

كورنثس يقول بولس الرسول "الله الذي أمرَ أن يخرج من الظلمةِ نورٌ هو الذي أشرقَ في قلوبنا لمعرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح".

فالنور في المعمودية أشرقَ في قلوبنا وصار التعايش بيننا وبين النعمة الالهية قائماً. الطبيعة البشرية للمسيح هي ممتلئة من الأنوار الالهية. سكنَ الروح القدس في قلوبنا، فاذن النور الالهي هوفي قلوبنا ولكن المطلوب منا هو الجهاد الروحي، المطلوب هو أن ينتصر المسيح فيّ على آدم الذي أخذتهُ من أبي وأمي.

الحرب قائمة في كياني بين يسوع وبين آدم، وعليَّ أن أُحوِّل آدم الى يسوع. عمليَّة التحويل هي العمليَّة الأساسيَّة روحياً وهذا التحويل يتمُّ بالنعمة الالهية وبالنور الالهي الساكن في قلبي بالمعمودية.

فاذن المطلوب هو النشاط المزدوج: نشاطي كإنسان ونشاط النعمة الالهية الساكنة فينا. لا تناقض بين إرادتَي يسوع ومشيئتَيه. هذا مستحيل. شخص يسوع هو واحد، يفعل بواسطة الطبيعتَين بدون تناقض وبدون أن تُخالف الطبيعة البشرية الطبيعة الالهية. وانا ايضاً أتعاون مع الله كما قال بطرس الرسول "نحن معاونون لله" هذا التعاون يؤدِّي في النتيجة الى إنتصار النعمة الالهية على آدم في

داخلي. فاذن، هناك تعاون بين النعمة الالهية وإرادتي. إرادتي موجودة، فِعلي موجود. يجب أن أُجاهد روحياً، أن أفعل، أن أتّخذ قرارات. انا كائنٌ حرٌّ. انا لا أُسيّر من قِبَل الله كأعمى، انا بملءِ إختياري أسيرُ في ضوءِ النعمة الالهية.

النعمة الالهي تُقوّيني، تدعَمُني ولكنها لا تحلُّ مكاني. إن حلّت مكاني كنتُ خاضعاً للقضاء والقدَر . النعمة الالهيةِ تؤيِّدُني في كلِّ عملٍ صالحٍ. ولكن عليَّ أن أعمل، عليَّ أن أفعل، عليَّ أن أُريد، عليَّ أن أختار، عليَّ أن أستيقظ، عليَّ أن اكون من نار الروح القدس لتظهر النعمة الالهية فيّ ولذلك فللذين يقولون " أتركها على الله" يضِلُّون كثيراً، هؤلاء هم أصحاب المشيئة الواحدة.

المجمع السادس الذي كنّا أبطالَه بمكسيموس المعترف وصوفرون وغيرهم علّمَنا أن تكون إرادة الإنسان فعَّالة وأن يكون الإنسان ديناميكياً لا بطّالاً كسلانَ جباناً متراخياً تنبلاً.

المجمع السادس المسكوني مهمٌ جداً من الناحية الروحية فليست اهميتُه عقائديّةً فقط بل روحيّة. هو أكبر دليل على أن روحانيّتنا الأرثوذكسية هي قائمة على عقيدتِنا الأرثوذكسيّة. الإيمان بالمشيئتَين

والفعلَين هو أساسُ إيمانِنا بالتعاون بين النعمة الالهية والمشيئة البشرية والفعل البشري.

مكسيموس المعترف هو صاحب أبحاثٍ دقيقة جداً في الإرادة فلا يمكن أن نكون مكسيموسيّين حقيقيّين بدون أن نؤمن بأنه على المسيحي أن يكون بطلاً روحياً، أن يكون شهيداً حيّاً، أن يكون رجلَ حرب ولكن حرب روحية. أن نتخلّص من كل العبارات التي تدُلّ على الكسل والإتّكالية الفارغة. نحن نتّكل على الله ونحن مجاهدون ولكن ليس ونحن نائمون.

ما معنى مطالبة الرهبان باليَقَظة والسَهر والإستعداد؟ هذا يعني العمل النشيط الدؤوب الحذِر الحَرِص، الفطنة الحكمة الحِذِق وبعبارة عامية "الحربقة الروحيّة". الإنسان الأرثوذكسي الحقيقي "حربوق" روحياً أي بدون خبث بدون ملعنة بدون لؤم. فتىً حاذِق فهيم حكيم لَبِق إداري يُجيد حُسن التصرُّف بدهاءٍ روحيٍّ. بكل هذه الكلمات أَنتزعُ الخبث والمكر والخداع والدهاء والمكيدة.

الصفات تكون طاهرة، نقيّة، بريئة شريفة صادقة مستقيمة. ولذلك علينا أن نكون أنطاكيّين حقيقيّين على مذهب مكسيموس المعترف في

الفِعلَين والمشيئتَين، في الحرية في اليقظة وفي الفِطنة. مكسيموس هو رجلُ فكرٍ عالميٍّ نادر الوجود في التاريخ. كيف نكون مكسيموسيّين ونحن نؤمن بالقضاء والقَدَر؟ مثل "إتركها على الله" ، " دَعْ الله يعمل". كَم مِن مرَّة سمِعتُ هذا الكلام في حياتي، هذا كلامٌ سخيفٌ. فكنت أُجيب الناس "وهل انا عدوُّ الله، وهل انا كافر وهل انا مُلحِد" ؟ انا اكتب لاهوت وأعرف ماذا كثيرون أرادوا أن يُعلِّموني ولا يعرفون شيئاً من

اللاهوت. أقول لهم بإستمرار انا خلقيدوني مكسيموسي صادق، أؤمن بالإنسان وبأن الإنسان يعمل تحت نور النعمة الالهية وهو ليس مسيَّراً بل هو مخيَّرٌ. بملءِ إرادتي أقبل يسوع المسيح، بملءِ إرادتي أضع نفسي في تصرُّف النعمة الالهية.

كم عرفتُ في حياتي من الناس الذين يطلبون أن يرَوا العذراء اوسواها في الحلم، أن يسمعوا صوتها أو أصوات القديسين او يريدون من الله علامةً واضحة ... كل هذا يدخل في قاموس القضاء والقَدَر والتسيّير. نحن لسنا مسيَّرين، نحن مخيَّرون. بملء إرادتِنا نصنع الخير وبملء إرادتنا نصنع الشر. انا أضع نفسي تحت تصرُّف النعمة الالهية، كيف؟

بالصلاة والأصوام وإبتلاع الإنجيل. بإبتلاع الإنجيل أستنير بالعهد الجديد. العهد الجديد حبّات لؤلؤ في ضميري. إن إبتلعتُ العهد الجديد إبتلاعاً أرثوذكسياً صار ضميري عقداً من اللؤلؤ بل من الألماس بآيات العهد الجديد، وتُصبح آيات العهد الجديد هي المحرِّك الذي يُحرِّكني. أُصلِّي

مستلهماً الروح القدس ولكن أسيرُ في ضوء العهد الجديد، أمتلىء من العهد الجديد، وامتلىء من الصلاة من الروح القدس وأفعل.

ولكن لا أنتظر أن أكون آلةً صمّاء لا نَفَسَ لها، يُحرِّكني الله وانا دمية. انا لستُ دميةً بين يدَي الله، انا أُقنومٌ بشريٌّ مخلوق.

يسوع أُقنومٌ الهيٌّ غير مخلوق. أما انا فصِرتُ أُقنوماً مخلوقاً نتعاون انا وهو

كشخصَين. هو شخصٌ الهي وانا شخصٌ بشري. نتعاون. هو يساعدُني ويدعوني ويُقوِّيني ولكنه لا يحلُّ محلّي، لا يقوم مقامي ابداً. إن قام مقامي فما هو وزني، ما هي قيمتي؟ لا يُخلِّصني إلا بارادتي. إرادتي هي التي تُخلِّصني، إرادتي هي التي تفعَل.

يسوع ذو إرادة بشرية ليُقدس إرادتي البشرية. مَن الذي يخطأ؟ النفس،الإرادة.

لذلك أخذ يسوع نفسي وإرادتي ليُقدِّس نفسي الساقطة وإرادتي الساقطة. هناك تعاون بين الإرادة الالهية والإرادة البشرية. هذه هي الأرثوذكسية. فاذن الرثوذكسية هي ضد التنبلة، ضد الميوعة، ضد الكَسَل، ضد الإتِّكالية الخرساء السوداء، ضد التراخي والتهاون، ضد الإنهزامية. الأرثوذكسية هي ديناميكية حربية ولكن الحرب هي روحيَّة وليست جسديَّة. نحن نحارب مع الله، نحارب الشيطان بمعونةٍ الهية.

قال يعقوب الرسول "قاوموا إبليسَ فيهربُ منكم". ما معنى "قاوموا" ؟ إبليس يشنُّ الحرب علينا فنشنُّ الحربَ عليه ونغلبه باسم ربِّنا يسوع المسيح. بولس في الفصل السادس في رسالته الى أفسس طالَبنا أن نرتدي كل الأسلحة الالهية، أي كل الفضائل الالهية لنقوى على إبليس ونرُدّ سهامه الملتهبة.

يعقوب قال بعد ذلك "إقتربوا من الله يقترب اليكم " كيف أقترب من الله بدون جهودٍ مُضنية؟ هل أستطيع وانا إبن جهنَّم أن أقترب من يسوع المسيح؟ أليس عليَّ أن أخلُص من الجحيم لأُلاقي يسوع

المسيح؟ كل شيءٍ في الأرثوذكسية وفي العهد الجديد جهاد ونضال وحرب لا نهايةَ لها وما دُمنا على الأرض فنحن رجالُ حربٍ روحانيُّون طبعاً. لا أستطيع أن أقول إن المسيحية هي الميوعة والتنبلة. المسيحية هي الحرب وهي الجهاد المضني. لماذا نُكرِّم الشهداء؟ لأنهم عرَّضوا حياتَهم للموت من أجل يسوع المسيح.

أليس هذا اقصى الجَهد؟ أُجاهد في الأصوام في الصلوات، في الأعمال الصالحة، هذا جيد. ولكن الموت شهيداً من أجل المسيح هذا أعلى درجات الجهاد، أعلى درجات الحرب. نحن لا نَقتل ولكن نُقتَل من أجل المسيح، فنكون قد ضحَّينا بأنفسنا من أجل المسيح وهذا جَهد سماوي لا أرضيّ. الروح القدس يتحمَّل آلام الإستشهاد. حياة الشهداء تُروِّع، ولكن كيف إحتملوا؟ بفضل النعمة الالهية الساكنة فيهم. فَعَّلوا النعمة الالهية فماتوا من أجل المسيح وهم في طرَبٍ وتهليل . ولماذا النسك؟ لماذا أنطونيوس الكبير وساروفسكي وسمعان العامودي؟ أليسَ هؤلاء مجاهدين كِباراً، أليسوا هؤلاء مناطحين كبار نطحوا الشيطان وألقَوه أرضاً؟ جندَلوه.

والشيطان روحٌ لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، هو في يقظة دائمة ليبتلعنا.

هؤلاء النساك الكبار الذين طعنوه في الصميم وجندلوه وداسوا على رقبته، أليسوا هم محاربين كباراً؟ أليسوا رجالَ حربٍ من أعلى طراز؟ مَن

يستطيع أن يغلب الشيطان؟ هل يستطيع المصارعون الكبار أن يغلبوا الشيطان؟ أما النساك فقد غلبوا الشيطان وهذّبوه وطعنوه في الصميم. بماذا؟ بجهادِهم الروحي. هؤلاء هم محاربون كبار حاربوا شهواتهم ورغباتهم وأهوائهم وإنتصروا على الجسد وعلى الشيطان وعلى كل المساوىء. مَن يستطيع ذلك؟ المصارعون في الميادين؟ لا يستطيع ذلك إلا النسّاك الممتلئون من الروح القدس. لذلك على الكرسي الإنطاكي أن يستعيد مكانته التاريخية في اللاهوت.

أعرف أن الناس يميلون الى قراءة حياة القدِّيسين، هذا جيد. ولكن الكرسي الإنطاكي هو صانع اللاهوت الأرثوذكسي، ونحن قدّمناه للعالم الأرثوذكسي وسواه فيجب أن نستعيد هذه المكانة مهما كانت التضحيات. نحن خرجنا في البداية كلاهوتيِّين وكان اللاهوت صِنعَة

جيلِنا تحت جناحَيه انا وأبينا الغالي الياس مرقس حفَرنا عميفاً لاهوتياً وظهرنا على الشاشة كلاهوتِيّين متمسّكين بالمجامع السبع المسكونية وبآباء الكنسية معظِّمين غريغوريوس اللاهوتي، يوحنا الدمشقي ويوحنا فم الذهب.

لذلك ألفُت أنظار الأحباء الى عمق اللاهوت الأرثوذكسي. بدون العمق اللاهوتي يبقى كلُّ شيءٍ سطحياً والاستاذ الكبير سيرج فيرخوفسكي الروسي المهاجر ذَكر مرةً أَننا ذوو قدرة على فَهم اللاهوت

الأرثوذكسي. هذه القدرة يجب أن نستثمرَها، يجب ان نهرُب من السطحية اللاهوتية. بدون العمق اللاهوتي ، الضلالُ ممكنٌ.

بالعمق اللاهوتي نبقى في الخط الأصيل لا نتشرزم. يعقوب الرسول قال "لا يكن فيكم معلِّمون كثيرون". باللغة العامية نقول "متى كثُر الطباخون خرُبَت الطبخة". كلُّ شيءٍ يجب أن يسير وَفق الخط اللاهوتي الأرثودكسي التقليدي المبتدىء ببشارة الرسل والعهد الجديد والآباء القدِّيسين والمجامع المسكونية حتى يومنا هذا. يجب أن ندخل في هذا التاريخ اللاهوتي، أن ندخل في هذا التيار اللاهوتي الروحي

العظيم. لا نستطيع أن نفصل بين الروحانيات الأرثوذكسية واللاهوت الأرثوذكسي وإلا وقَعنا في الضلال. تاريخ الكنيسة واضح. الإنحرافات عن اللاهوت الأرثوذكسي أدَّت الى الضلال. في كتابي المفقود عن القديس كاسيانوس، رهبانٌ في مصر وقعوا في ضلال أوريجنس وافلاطون، فقاومَهم ثيوفيلوس رئيس أساقفة الإسكندرية وطردَهم. ايفاغريوس (Evagre) هو متينٌ جداً في الكتابات الروحيَّة ولكنه وقع في ضلال أوريجنس فتمَّ فرزُه كما فرُز غيره.

برسولوفيوس الناسك الكبير في غزة إعترف في رسالتَيه 600 و601 بأن بعض كتبه جيِّد ولكنه كان يكره تأثُّره بأوريجنس وافلاطون. لا نستطيع أن نحمي أنفسَنا من الضلال الا باللاهوت الأرثوذكسي الآبائي ولا

نقبل إلا اللاهوت الأرثوذكسي الآبائي ولا نقبل إلا ما تركه لنا الآباء القدِّيسون. نفهم الكتاب المقدس على ضوء العقائد.

عقائدُنا الأرثوذكسية هي التي تُعطينا الفَهم الصحيح للعهد الجديد أما التفسيرات المعاصِرة المتفزلكة فهي مرفوضة أرثوذكسياً. كلٌ ما يُنافي تعليم آباء الكنيسة اللاهوتي والروحي هو مرفوض وإن كان

هارناك وبولمتان من أقطاب الباحثين. فالمسألة هي ليست مسألة بحث، المسألة هي أن آباء الكنيسة هم ممتلئوون من الروح القدس. فبولتمان هو

ممتلىءٌ من السخافات، وبحقٍ قال فيه الأرثودكسي اللاهوتي ميرا لوتبورودين إن هارناك لم يفهم شيئاً من آباء الكنيسة.

طبعاً قد يرى البعض في اسبيرو تشدُّداً زائداً. انا لست بمتشدِّد إنما لا أُساوم ابداً على المجامع المسكونية وآباء الكنيسة. إن صمَتُّ حيناً فمن باب التدبير لا من بابِ التنازل ابداً. صَبَرت وأصبُر وسأصبُر حتى يمُنّ الله على الكرسي الإنطاكي بلاهوتيِّين عميقين من آباء الكنيسة لا بالأدعيَة.

كل الدراسات بدون آباء الكنيسة هي مضيَعة للوقت. نحن لا نطلب باحثين يبحثون في الكتاب المقدس كما يبحثون في كتب الفلسفة. نحن نطلب روحانيِّين يعيشون الكتاب المقدس كما عاشه باسيليوس وغريغوريوس ويوحنا فم الذهب وأنطونيوس وساروفسكي

وغريغوريوس بلاماس وسواهم من القديسين العظام بنعمة الروح القدس المستنيرين بأنوار الثالوث القدوس المتجلِّين كما تجلَّى المسيح

على جبلِ ثابور. نحن نطلب يوحنا السُلّمي وأندادَه من المتجلِّين.

وما الفائدة لو كنت أقدر أن أكتب 700 مجلة في التفاسير وانا لا أعيشُ روحياً ولا أؤمن بالثالوث القدوس ولا أرتعد عند ذكر إسم الثالوث القدوس.

ولذلك، فالمهم هو العمق اللاهوتي الروحي لنمتلىء من الروح القدس.

إن لم نمتلىء من الروح القدس فالعِلم برُمَّته باطل ولو كان لنا علمُ الملائكة أجمعين. الكلُّ مرتبطٌ بالإمتلاء من الروح القدس.

الإمتلاء من الروح القدس الأرثوذكسي. انا هو الذي يصنع ذلك وانا أُجاهد وأُحارب وأُناضل لكي يحُلّ فيّ ملءُ الروح القدس.

يجب أن نتخلّص من العبارات التي تدلّ على التسييِّر وعلى القضاء والقدَر (مثل إتركها على الله– بيدبِّر الله– سلِّمها الى الله). نحن لسنا مُسيَّرين، نحن عسكر لدى ربِّنا يسوع المسيح والعسكري يُحارب في الجبهة ولا ينام تنبلاً كسلاناً. فليكن ذلك مفهوماً وأرجو أن يفهمني القرَّاء الكِرام الأعزَّاء وأن يشتغلوا لكي يكونوا عسكراً لربِّنا يسوع المسيح مدرَّعين مدجَّجين بكلِّ اسلحة الروح القدس.